«ما بعد الكتابة»

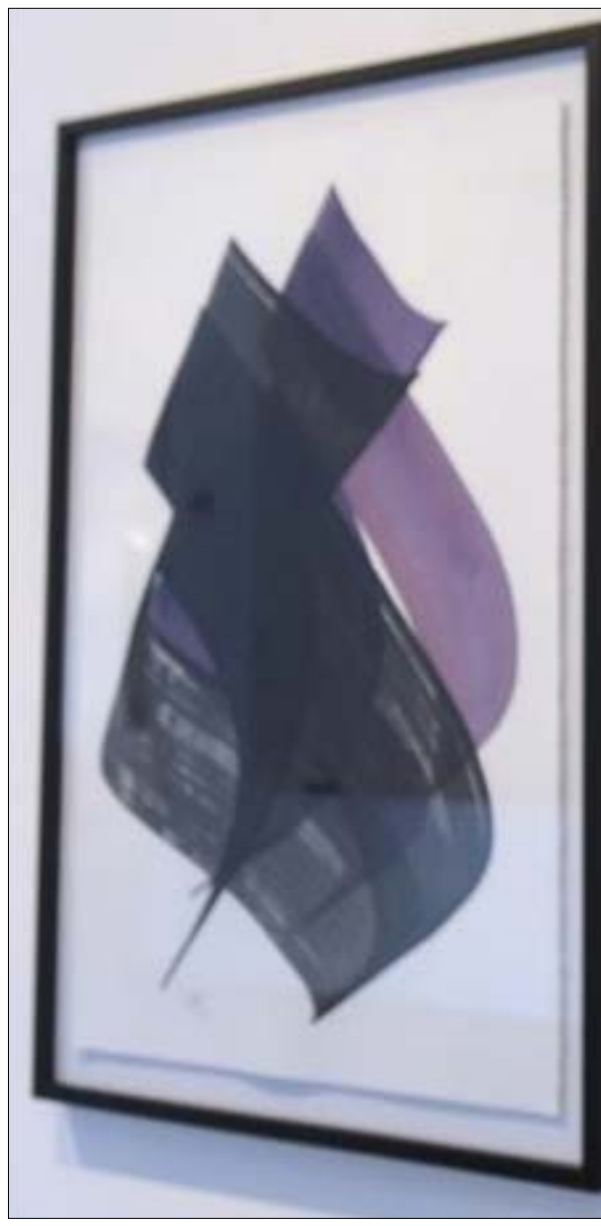

ومشق الحروف» إلى التجريد في الكتب الفنية الثلاثة التي صدرت أيضاً، من بينها «ما بعد»: هذا الكتاب الطويل أشبه بالكتب اليابانية، مع مقدمة بخط يد سمير حيث يعلن عن «اللحظات الضيقة التي يمر فيها انفصال اللغة عن معانيها، انفصال الشكل عن المضمون، انفصال الجسد عن الروح، الليل عن النهار، العاشق عن المعشوق. إنها اللحظات الضيقة التي ينفصل فيها الزمن عن المكان، الزمن عن الوقت، المكان عن الحدّ إنها لحظة المطلق لحظة العدم». إنّها بيانه الانتقالي إلى الحرية، حرية الحرف من كل قيد أو شرط. تتوالى الصفحات المغرية للقراءة مطلقة اليدين من قيد المعنى. صفحات حرة تحافظ في ذهن المتلقي على جذرها الحروفي كالغيم والمطر، في علاقة جوهرية متينة قائمة على الحرية.

يعلّق الصايغ: «نعم ذهبت إلى تجربة أبعد، أن أتحرر من اللغة نهائياً. هذا الفن (فن الخط) هو بذاته في صراع من الأساس بينه وبين الكلمة، بينه وبين اللغة. لأنه أول ما تجسد، تجسد على أساس أنه هو يصنع الكلمات، يخططها، ويعطي شكلاً للحروف وللكلمات. وطبعاً كان الخط العربي فناً كبيراً لأنه اهتم بإعطاء شكل أساسي لكلمة الوحي من دون أن يكون قصده تعميم الكتاب أي نسخ الكتاب أو تعميمه للقراءة، بل كان القصد هو الاحتفال، كان ينتج عملاً فنياً كبيراً. في الفترات الأخيرة، تراجع الخط عن كونه فناً، فصار حرفة من الحرف. أقرب إلى تمارين. وأصبح الخطاط محكوماً بكتابة الحروف بطول معين وسماكة معينة. لذا، باعتقادي يجب أن نتحرر من هذه القيود، ونخفف من وظيفة الفن النفعية التي غالباً ما لها علاقة بوظيفته اللغوية، أي إيصال المعنى. ثانياً أن نخفف من علاقة الخط العربي بالدين. صحيح هو فن تكتب فيه الآيات، لكنه ليس فنّاً مقدساً على الإطلاق ولم يخدم ولا يخدم السلطة الدينية، وإنما يخدم الدين من حيث انتمائه للفن. وقد استطاع أن يستوحي من رؤية الدين للكون وللإنسان وهذا طبعاً شيء عظيم». لكن غياب المعنى

> أهمية هذا الفنان أنّه حرّر الخطّ العربي من ثقل السياسة والدين (صالح بركات)

وحضور المعاني أكثر ما يتجلى في «الدفتر الأزرق» (كتاب فني بإصدار محدود) بورقه الياباني الشفاف وتذهيباته المشغولة باليد مجاورة حروف سمير الحرة، و«الدفتر البني» (كتاب فني بإصدار محدود) والورق الياباني الشفاف نفسه، لكن مع هدف إضافي أراده سمير وكارما، وهو تحرير الصفحة من اتجاهاتها، فهنا كل «الميلات» وجه الصفحة، والحرف ينتقل عبر هذه الشفافية المقصودة من ميل إلى ميل، هنا لا حدود ولا حواجز، هنا الحرف يحرّر بتحريره الصفحة.

تقول كارما طعمة: «هذه الأعمال هي أعمال حميمية أكثر من أي شيء آخر. لا مسافة فاصلة بين العمل والمشاهد، فهي أعمال شخصية جداً، لأنّها بالأساس مسحوبة من الأدراج، ولم تكن مجهزة مسبقاً لتكون تحت الضوء أو مؤلفة لتأخذ شكلاً نهائياً متوقعاً. هي مجرد عمل عفوي، تمرين يمارسه سمير الصايغ. ليس هناك فكرة واحدة واضحة. وإنما هي أعمال فطرية، عفوية، حرة. ولهذا السبب يمكن أن يكون لدى البعض انطباع أنها خام. وهي فعلاً أعمال نقية جداً. وهذا ما حاولنا أن نظهره». يعلّق الصايغ أخيراً: «صحيح أنّ هذا الفن (فن الخط) له علاقة بالكلمات والحروف. لكن هذه العلاقة لا يجب أن تثبت على حالة واحدة، لأنه حين تثبت على أسلوب أو على شكل واحد، يموت الاثنان، يموت الطرفان. هي علاقة حيوية، يجب أن تبقى متحركة وهي في الحقيقة كالعاشق والمعشوق، كالحب! لا يمكن لطرف أن يسيطر على الثاني نهائياً. ولا يستطيع أن ينفصل عنه نهائياً، كما لا يمكن أن يتحد به نهائياً. هما أشبه بقطبين بهيئة واحدة، هما اثنان في تجلٍّ واحد. منذ زمن والتوازن هذا قائم بين الخط واللغة، أكثر من ألف سنة يتوازنان ويقدمان التنازلات بينهما. في وقت الحروب حيث لا حوار وبالتالي لا لغة، وفي ظل هذا التخلف والتراجع، في ظل هذا القتل والدمار، أصبح من الأفضل ربما أن يذهب الخط إلى شفافية أكثر كي لا يقع مرة جديدة في هذه العلاقة التي جمدت».

/http://www.plan-bey.com

«سمير الفاتح»

لقاء حواري جمع قبل أيام روز عيسى، وسمير الصايغ، وصالح بركات في مناسبة إطلاق كتاب «رموز من زماننا: من الكاليغرافيا إلى الكاليغرافيتي» (منشورات روز عيسى) في «غاليري صالح بركات» في كليمنصو. في هذا اللقاء، قدمت روز عيسى (صاحبة غاليري «روز عيسى بروجكتس» في لندن) الكتاب الذي يؤرخ لستة عقود من الفن الحروفي، موجزة أنّه مقسَّم الى ثلاثة أجيال. أولاً، هناك جيل المحدّثين أمثال سمير الصايغ، وشاكر حسن آل سعيد، الذين سجلوا نمطاً جديداً ومفهوماً جمالياً جديداً. وهناك الجيل الثاني من الفنانين الناشئين في أوروبا ممن أنجزوا استكشافات أو تجارب أثرت أو لوَّنت هويتهم. ثم هناك الجيل الثالث «الغجري» المتنقل الذي يعمل ويسافر الى كل مكان، حيث نرى الخطوط الاسيوية، والاوروبية، والمتوسطية والعربية في أعماله. جيل لا تعنيه الجماليات ولكنه يستعمل الحرف.

قرابة 50 فناناً في هذا الكتاب، وجهت إليهم عيسى أسئلة مشتركة عن علاقتهم بالفن وبالحروفية ومصادر إلهامهم والامل المستقبلي لهذا التيار، مشيرة إلى أهمية سمير الصايغ كأحد أربعة حروفيين فقط في الكتاب ممن تصرفوا بمورفولوجيا الحرف (علم تشكُّل الحرف) بعيداً عن أن يكون خطاطاً تقليدياً. بعدها، قدّم صالح بركات (صاحب غاليري «أجيال» أيضاً) مداخلته التي أوجز فيها تعرفه إلى المدرسة الحروفية بحكم عمله، منوّهاً بأهمية لقائه بسمير الصايغ في هذا الإطار. وأشار إلى نقطتين: الأولى أنّ الفنانين استعملوا الخط العربي إما لأسباب دينية، كي يعطوا صبغة اسلامية لفنهم، أو استعملوه لاسباب سياسية كي يعطوا صبغة عربية لأعمالهم. وهنا برأي بركات تكمن أهمية سمير الصايغ الذي أخذ هذه الجمالية في الخط العربي، وأراد تحريرها من هذين الثقلين أي ثقل السياسة والثقل الديني، ويحولها إلى شكل آخر بحيث أن أي ناظر سيتأملها حكماً سواء فهم اللغة العربية أم لم فهمها. وبالتالي يخلد الخط العربي من دون العودة إلى المعنى المفهوم. يضيف بركات: «لقد فتح سمير الصايغ الباب للكثير من الفنانين كي يستعملوا جمالية الخط العربي بعيداً عن ضيق مساحة الدين أو العروبة. وفي يوم ما، سوف نذكره ك «سمير الفاتح»».

صفة لا شك في أنّه يستحقها لكنّ المعلّم اللبناني قابلها برد متواضع صوفي الهوى، قائلاً: «كبيرة جداً هذه الصفة. وهنا أقول إنّ عمق فن الخط العربي هو أنّ لا وجود خلفه لـ «أنا» الفنان، لا ذات فنية. 300 سنة من الخط الكوفي، ولم يكن هناك إمضاء واحد!». ثم تابع الصايغ متحدثاً عن تاريخ الفن الحروفي، مفصلاً اكتشافه الشخصي على هذا الصعيد: «هذا الفن عنده تأثير كبير على العين. نحبّه، ولا نحبّه ليس بسبب ما يقوله أو معنى الكلمة، بل بسبب الانجذاب إلى الشكل، وهذه الصفة الأساسية الملتصقة بالطبيعة. فإذا كان هناك شجرة، نابتة بشكل صحيح وأغصانها قوية وثمرها ناضجة، ننجذب لها ونحبها. والخط هكذا أيضاً. عندما يكون الخط قوياً بشكله، نقول عنه جميلاً، ليس لأنه كتب كلمة أو معنى، أو أي عبارة. هذا ما يعيدنا إلى الانطلاقة الأولى لهذا الفن الرفيع السامي، ويمكن أن يربطنا بحضارات ثانية كبيرة كالحضارات في الصين أو اليابان وغيرها، بشكل خاص عندما يتجرد من قيد المعنى. لا يجب اليوم أن نكتب بالخط كلمات ونجعله وظيفة منفعية. يجب أن يكون له معناه بحد ذاته!». ساعة من الحوار في أصل الحرف وتكوُّنه أو تكوينه ليقول سمير الصايغ في الختام جواباً على سؤال روز عيسى عن منشأ الحروفية: «إنّ الحروفية هي من أتت إلي».